

1686 - قراءة: في كراسات التدريب (بخيب محفوظ)

ص 71 من الكراسة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

من جد وجد

الشمس في الضحى كالشمس في الطفل

الحلم سيد الأخلاق

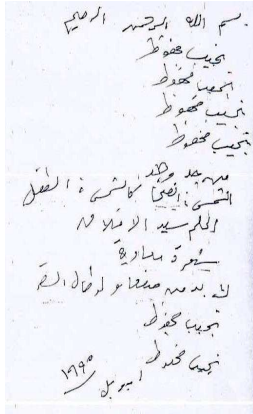
شعرة معاوية

لا بد من صنعا ولو طال السفر

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

ابريل 1995



القراءة:

اليوم، كتب شيخى اسمه "نجيب محفوظ" أربع مرات متتالية دون اسم كريمتيه، لا تفسير، هو حر، ثم كتب من "جد وجد"، وكأنه يلزم نفسه فقط بهذا الجد دون أن يفرضه على كريمتيه، فهو أب جميل حر أكثر مما استطعت فهمه، لكنه حنون رقيق، ولا أتصور أنه أمر كريمتيه بمثل ذلك بالمعنى الذى ألفناه من الآباء الحريصين على تفوق ابنائهم أو بناتهم طول الوقت، إذ يبدو أنه اكتفى بجده هو ليكون قدوة حسنة لهما ولغيرهما.

أما عن جده هو فحدث ولا حرج، أما عن ما وجدته نتيجة هذا الجد، فأيضاً حدث ولا حرج، وأنا لا أقصد الجوائز أو المكاسب أو الانتشار، وإنما أغلى ما وجدته ويحق هو "حب الناس"، في دوائر متسقة مثل دوار الماء يلقي فيه بالحجر، كما وجد رضا الله، ودوام الإشراف.

سبق أن سمحت لتداعياتي حول صفحة التدريب رقم (59) **(نشرة 2-2-2-)**

(2012 العدد: 616) ، أن تتناول موقفه من هذه القاعدة "من جد وجد" بما يتعلق بصبره على ما حدث، ومثابرتة للعودة للكتابة للإبداع كتابة (فهو لم يتوقف عن إبداع من حوله من البشر) "حي حي"، كما ذكرت في موقع آخر. كذلك تمت قراءتي فتداعياتي على كل من عبارة "الحلم سيد الأخلاق"،

صفحة التدريب (9) **نشرة 28-1-2010 العدد: 88** ، ثم على عبارة "لابد

من صنعا وإن طال السفر"، صفحة التدريب (41) **نشرة 27-10-2011**

العدد: 1518

تبقى لدينا في هذه الصفحة الحالية جديان: الجديد الأول هو استشهاد شائع بما يسمى "شعرة معاوية"، والثاني بيت شعر من قصيدة "لامية العجم". لم أكن أتصور أنه ستقع تحت ناظري يوماً، هذه اللامية للشاعر الفحل، الطفراني، المتوفى سنة 514 هـ، وهي التي حاكى بها "لامية العرب" للشنفرى الأزدي، ها هو نجيب محفوظ يعود ويفتح لي/لنا ديوان الشعر العربي الأصيل من جديد، وأنا أتساءل كيف احتفظت ذاكراته بهذه الروائع النادرة التداول؟ وكيف ملأت وعيه حتى تتضح هكذا على قلمه في شكل تلقائي بهذه السلاسة والتلقائية وأثناء التدريب مصادفة هكذا؟

شكراً شيخى، كما فتحت لي آفاقاً جديدة في قراءة قرآني الكريم، هأنذا تهديني تلك الروائع من دروس لغتنا العبقريّة وعاشقيها الفحول.

كلما فتحت صفحة جديدة، ووصلتني هدية جديدة منك شعرت أنني أزورك مجدداً، وأنت تختلي بي وحدى كما كنا نفعل أحياناً، وأنت تعلمني من جديد كل شيء، نعم كل شيء حتى لغتي

.....
.....

نبدأ اليوم بالعبارة الأكثر شيوعاً قبل أن ندخل في رحاب جنة ديوان العرب الجميل

شعرة معاوية

"شعرة معاوية" يتغنى بها السياسيون في عصرنا الحاضر بتواتر لا ينقطع، وقد قالها معاوية عندما سأله أحد الأعراب: "كيف حكمت أربعين عاماً، ولم تحدث فتنة واحدة

بالشام بينما الدنيا تغلى؟" فأجابته: "لو أنّ بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، كانوا إذا مدّوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها". يبدو أن هذا هو دهاء الساسة الناجحين عبر التاريخ، وأنا لم أناقش شيخي محفوظ في أمر معاوية بن أبي سفيان أبداً، وإن كنت قد ناقشت شيخي محمود محمد شاعر، وأنا بعد في الخامسة عشر في أمره كثيراً، فقد كان المرحوم محمود شاعر يرفض رفضاً حاسماً أن يُختزل تاريخ الإسلام في الخلفاء الراشدين، وكان يعلمنا بحده أنه لو كان معاوية بكل هذا السوء الذي يدعيه أعداؤه حتى صوروه شيطاناً رجيماً لتوقفت مسيرة الحضارة الإسلامية بعد الخلفاء الراشدين، كما كان ينبهنا أن نرفض هذا الاستقطاب إلى أبيض وأسود "على" مقابل "معاوية"، فهو خسارة للجانبين معاً، ويبين لنا كيف أن معاوية كان رجل دولة من الطراز الأول، وأن له أخطاءه ونقائصه مثل أي كائن بشري، لكن عهده كان علامة لقدرة الحضارة الإسلامية أن تتميز وأن تمتد، وأن تعطى وأن تبقى، طبعاً كان ذلك صعباً علينا في هذه السن، لكن حماس شيخي الأول وقوة صوته التي تتناسب مع قوة منطقته جعلتني أعيد النظر في التاريخ وفي دور هذا الداهية الرائع معاوية بن أبي سفيان منذ ذلك الحين.

لم ألاحظ على شيخي محفوظ أنه يستعمل "شعرة معاوية" كثيراً، فهو عادة يرحى لمجالسيه ولمخالفيه معظم الوقت ولا أقول كل الوقت، دون يتنازل عن اختلافه معهم، وحين يصله جديداً يستدعي دهشة مناسبة كان تساؤله الطفلي الجميل يعلن حسن تلقيه بهذا التعبير الرائع "لا يا شبيخ!!" ثم إنه كان يملك قلوب من حوله مختلفين ومؤيدين وكأنه يمسك عدداً كثيراً من شعرات محبته يعزف عليها أنغام تواصله بكل هذه الرقة والدمائة.

دعونا الآن ننقل إلى الهدية الثمينة "لامية العجم" مع شكر شيخي الإلكتروني مولانا "جوجل"

كتب نجيب محفوظ "والشمس في الضحا كالشمس في الطفل" وهو -تقريباً- شطر من بيت في قصيدة "لامية العجم". وهنقصيدة شهيرة للطغرائي المتوفى 514 هـ وهو العميد مؤيد الدين، أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الأصبهاني وقد حاكى بها قصيدة لامية العرب للشنفرى الأزدى، وكان قد عملها ببغداد، في سنة 505 هـ، يصف حاله ويشكو زمانه، أولها:

"أصالة الرأي صانتني عن الخطل - وحلية الفضل زاننتي لدى العطل"

بحثت عن أصل هذا الشطر الذي ورد اليوم في تدريبات شيخي فوجدته

هكذا: "والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل" والبيت كله يقول:

مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس في

الطفل

وطبعا قرأت الطفل لأول وهلة على أنها الطفل (بكسر الطاء، طبعا لم يشكلها شيخي)
لكن البيت انكسر مني، فرجعت أصححه، فوجدته يستقيم بالتشكيل بفتح الطاء والفاء،
فرحت أبحث عن "الطفل" في الوسيط فقال: **الطفلُ: إقبال الليل على النهار، والطفلُ :**
الوقت قبيل الغروب، إذن هذا!!

وصلني أن هذا البيت إنما طفي على سطح وعيه ليصف شيخي الجميل
وقدرته أن يكون شمساً مضيئة لوعينا بإبداعه في أول الطريق أو الضحي، كما
هو هو قرب آخر الطريق. صحيح أن الشطر الأول يشير إلى المجد لكنني
استقبلته بالنسبة لشيخي على أنه الإبداع، والحيوية والعتاء، وجمال حضوره.
ثم إنني رحت أتجول في القصيدة واخترت منها هذه الأبيات وأنا أتصور
أنها حضرت تزين قمة جبل الوعي عند شيخي هذا اليوم،... أو هي ملأت
سحابات الوعي، ولم يهطل منها إلا ذلك الشطر الذي دبه شيخي في
التدريب، وهأنذا أهديك بعض أبيات من القصيدة الجميلة دون تعليق إلا وضع
عنوان تزيدي لا لزوم له:

العزوف والعزة:

- لم أرتضِ العيشَ والأيامَ مقبلةً * فكيف أرضى وقد ولت على عجل
غالى بنفسى عزفاني بقيمتها * فصنتها عن رخيص القدر مبتذل
السخط على الحكام الأسافل
- ماكنث أوثر أن يمتد بي زمني * حتى أرى دولة
الأوغاد والسفل

النهى عن التكاثر:

- يا وارداً سُورَ عيش كُله كدرٍ * أنفقت صفوك في
أيامك الأول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت تكفيك منه مصة الوشَل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يُحتاج فيه إلى الأنصار والخول
(الوشل: ماء العليل يتحلب من جبل أو صخر!!)
(الخول: جماعة العبيد والإماء وغيرهم من الأتباع والحشم)
إما السعى الطموح وإما الاعتزال:
- حبُّ السلامة يثني هم صاحبه * عن المعالي ويفري
المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً * في الأرض أو سلماً في الجوّ فاعتزل

حتمية الحركة:

- **ترجو البقاء بدارٍ لاثباتٍ بها * فهل سمعت بظلٍ غير منتقل**
لو أن في شرف المأوى بلوغٌ مني * لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل
ثم نختم بأشهر بيت نتداوله حالياً - ونحن لا نعرف أصله تحديداً، وهو
الذي يقول:

- **أعللُ النفس بالآمال أرقبها * ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل**

أما القصيدة الأصل "لامية العرب" فاكتفى بالإشارة إلى بعض سيرة من قرصها لما فيها من علامات شديدة الدلالة عن قوة وتفرد من يسمون صعاليك العرب .
الشنفري الأزدي المتوفي نحو 70 قبل الهجرة: هو ثابت بن أوس الأزدي الملقب بالشنفري ، وشنفري على وزن فعلى، وسمي بها لغلظ شفثيه. نشأ بين بني سلامان من بني فهم الذين أسروه وهو صغير، فلما عرف بالقصة حلف أن يقتل منهم مئة رجل ، وقد تمكن من قتل تسعة وتسعين منهم، وأما المئة فقبل إنه (الشخص رقم مائة!!) رفس جمجمة الشنفري بعد موته فكانت سبباً في موته (لاحظ المبالغات!!). وهو - أى الشنفري- من أشهر عدائي الصعاليك كتابت شرأ وعمرو بن براقه ، وكان من أكثرهم جرأة وقد عاش في البراري والجبال. ويقال في المثل أعدى من الشنفري، وكان يسبق الخيل ، ويلحق بالطباء. وكان عفيفاً، أباي النفس فصيح اللسان من أروع قصائده تلك القصيدة المعروفة بلامية العرب ، ويعدها النقاد من جواهر الشعر العربي ، ومن يقرأها يتعرف على قسط وافر من نمط حياة الشنفري وفكره وجوانب شخصيته، وقد استهلها بإعلان رفضه لمجتمعه البشري، معلناً ولاءه لمجتمع الوحوش الضارية، رفاء دربه في رحلة العناء للحصول على الطعام والشراب.

وهذه القصيدة قد أوليت اهتماماً كبيراً من جانب النقاد، وكانت محل نقاش دائم، وشرحها الزمخشري في كتابه "أعجب العجب بشرح لامية العرب"، وترجمت إلى الفرنسية والألمانية.

.....

وبدايتها

أقيموا بني أمي صدورَ مطيكم فإني * إلى قومٍ سواكم لأميل!
فقد حمت الحاجاتُ والليلُ مقمراً * وشُدَّتْ لطيّاتٍ

مطايا وأرحلُ

وقد دفعني هذا التقديم إلى البحث عن الزمخشري، ولم أكن أعرفه إلا أنه صاحب أحد تفاسير القرآن الكريم، وإذا بي أكتشف أنه معتزلي، ناقد فقيه زاهد، كتب في هذا وغيره حتى في الجغرافيا أنظر إلى عنوان مؤلفه "كتاب الأمكنة والجبال والمياه"
شكراً لشيخى العزيز، ما أعظمك معلماً حياً قريباً، ثم الآن: حياً أيضاً ولو على مسافة.